١٢

الاستلزام الحواري في الرواية العراقية
(خاتم الرمل) أنموذجا

د. نور عقيل محمد سعيد إبراهيم
الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

تعد الرواية فناً أدبياً عالياً يسرد الوقائع والأحداث ، وهي عمل لا يقصد منه المتعة حسب ، بل هي فن أدبي راق ، يعبر عن ضمير الإنسان وإحساسه في ظل الحالة النفسية التي يمر بها ، والإحساس الذي ينعكس في داخله ، صورة عن ما يحيط به من هزات نفسية كمرآة جلية لا رتوش فيها .

ولأن الرواية عمل سردي قادر على الانفتاح بحرية على الأفاق المعرفية والروحية والنفسية عالية المستوى ، فالروائي وفق ذلك كاتب مبدع يستجلي الحقيقة الروحية لشخصياته ومجتمعه لتحليل ما خفي وما أعلن بفاعلية الوعي الذي يمتلكه ، وهو كائن حساس يتحسس أكثر الاشياء وأقربها إلى النفس والجسد ثم ينشئ عمله تعبيرا عن هذه الحساسية القادرة على استيعاب حركة الوجود وسيرورة الأحداث وجدليتها ، ومن هذا المنطلق كان للحوار في الرواية دور أساسي لكشف الأغوار النفسية لدى شخوصها ومن ثم التعويل على ماقيل ومراعاة الظروف المحيطة للوصول لفهم أوسع وأشمل لما لم يُقل وهي رسالة الروائي الناضجة المحاكية للواقع من جميع اتجاهاته .

والحوار عنصر مهم من عناصر الرواية ، مثله مثل السرد لابد من استثماره بفاعلية جنبا إلى جنب مع السرد في خلق العوالم الداخلية للشخصية الروائية ، ويمكن إيثار الحوار في بناء الرواية باعتماد الحوار المباشر بكثافة أو بترجيح المنولوج الداخلي ، بحيث تنزع الشخصية رداءها وتبتعد عن السرد المحايد لتجعل الشخصية تطل على القارئ مباشرة دون حوادث تذكر .

ويفرط الفعل الدرامي ـ المشهد خاصة ـ في بلورة بناء الرواية لانه يعني " استعمال الحوار وإبراز الحركة والخطاب "1 ، وينبغي أن يكون الحوار في الرواية " دراميا كما هو الحال في المسرحية وغير مكتوب بشكل واضح لتقديم معلومات أو تاريخ الشخصيات أو موضوعات التنصيص".2

ويعتمد الحوار على اختيار واع للمفردات والصور والأفكار ، بفقرات قصيرة موجزة محكمة ، تصبح من خلالها وسيلة للنفاذ إلى جواهر الأشياء لاستجلاء كينونتها والإيحاء عما يدور حولها ، كما يعد الحوار مثله كمثل الحركة جوابا على الصورة المصممة نحو الغير ، وعليه تتحدد وظائف الحوار، كونها ترسم أبعاد الشخصية بغية أن تكون أكثر حضورا ، كما يمكنه تطوير الحدث وتعميقه و تصوير مواقف معينة في الرواية ، ويقوم بتخفيف رتابة السرد وكشف مغزى الرواية وإضفاء الواقعية عليها .

وقد كان لاختيار رواية (خاتم الرمل) هدف محدد هو إبراز هذه الجوانب النفسية التي صرح بها الروائي أو لم يصرح بناء على الحوارات الداخلية لشخوصها وغنى هذه الحوارات بالدلالات العميقة للنص وماتحمله من افكار يريد الروائي ان يأخذ متلقيه إليها ، كما أنه " يسبغ الحوار الدرامي على الكلمات نفسها التي تتحدث بها شخصياته "، 3 وهو إذ يسرد يقدم نوعا من الحوار بين الكاتب / الروائي والمتلقي مهمته كشف جوانب اخرى مظلمة من جوانب الشخصية .

ويمكن تلخيص وظائف الحوار كما حددها مورجان4 بـعد أن عرَفه بقوله " الحوار تقطير لا تقرير " و أنه " وسيلة شكلية للنفاذ إلى جوهر الأشياء " :

١. تطوير احداث الرواية .

٢. تطوير الشخصية في الرواية .

٣. تقديم الجو أو الحالة في الرواية.5

الاستلزام الحواري أو الأفعال اللغوية غير المباشرة

يعد الاستلزام الحواري من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات اللسانية ، وهو مفهوم لصيق بلسانيات الخطاب التي أخذ بفضلها البحث اللساني منحى مميزا ، وقد ظهر هذا المفهوم على يد غرايس (Paul Grice) الذي حاول أن يضع نحوا قائما على أسس تداولية الخطاب المستند على الحوار ، التي تأخذ بعين الإعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب ، ويؤكد على أن التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه للشكل الظاهري لها ، فالناس في حواراتهم بحسب غرايس ثلاث حالات هي :

١. قد يقولون ما يقصدون .

٢. قد يقصدون أكثر مما يقولون .

٣. قد يقصدون عكس ما يقولون.6

ولابد في التواصل الاجتماعي من انسجام في الخطاب لإتمام عملية التواصل اللغوي الإنساني ، لذلك فهو يخضع للسنن اللغوية التي تفرضها الجماعة اللغوية ، لكنه يتصل بمنتجه لإبراز الغاية المرجوة من الحوار وإيصال فكرة معينة تحقق التواصل اللغوي ، وقد عبر عن ذلك بارت حين قال: " ليست (اللغة) توسطا بين (الشيء) و (مدلوله) ، بل هي نسيج هذا الشيء في لحظة معنى ، إن هذا النسيج (شكل) ذو (معنى) ، ولا وجود للمعنى إلا بهذا الشكل ، ولا وجود لهذا الشكل إلا بهذا المعنى". 7

وإن مدلول أي عبارة له معانٍ عدة تحكمها الظروف واختلاف النوايا وتشعب المقاصد ، وقد اختلفت النظريات في تحديد المدلول وكيفيته ، فإننا نجد من يقول أن تحديد المدلول يمكن أن يتم دون الرجوع إلى ما تحيل إليه العبارة في العالم الخارجي ، في حين ثمة من يشدد على أن المدلول لا يمكن تحديده إلا بالرجوع إلى العالم الخارجي ، فهم يميزون في الاستعمالات اللغوية للعبارة بين ما يسمونه الاستعمال على وجه الحقيقة والاستعمال على غير وجه الحقيقة ، وهذا ما يدعونا للتمييز بين استخدام حرفي أو صريح للغة على أساس ما تدل عليه العبارة بلفظها وبين معنى ضمنى أو مستلزم تدل عليه العبارة باستعمالها في موقف تواصلي معين .

وقد عد مشكل المعنى من القضايا التي عالجها الفكر العربي القديم قبل أن يشرع الادب الغربي في تأصيل هذه الظواهر اللغوية ، من هؤلاء الناقد

والعالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي يميز في كتابه (دلائل الإعجاز) بين حمل العبارة اللغوية على ظاهرها وحملها على المجاز ، أي أن العبارة يمكن أن تدل بلفظها على معناها المخصوص في أصل وضع اللغة ، كما يمكن أن تدل على غير معناها اللفظي فيحدد معناها إذن عن طريق التأويل والتفسير .8

وقال معلقا على من فسر كلمة " قلب " في قوله تعالى ((إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)) 9 بـ (العقل) : " فأما تفسير من يفسره على أنه بمعنى من كان له عقل فأنه إنما يصح على أن يكون قد أراد الدلالة على الغرض على الجملة فأما أن يؤخذ به على هذا الظاهر حتى كان القلب أسما للعقل كما يتوهم أهل الحشو ومن لا يعرف مخارج الكلام فمحال باطل لأنه يؤدي إلى إبطال الغرض من الآية وإلى تحريف الكلام عن صورته وإزالة المعنى عن جهته "10 ، يفترض الجرجاني أن العبارة اللغوية لا يمكن أن تفهم دائما على الحقيقة أي أن المعنى الظاهر الذي يدل عليه لفظ العبارة ، ليس دائما هو المعنى المراد ، ذلك أن النص الذي يحتاج إلى إعمال النظر يحمل بين طياته معنى مستلزم ، أي أن العبارة يمكن ان تفيد ما وضعت له (الحقيقة) كما يمكن أن تفيد غير ما وضعت له (المجاز) والعلاقة بينهما هي علاقة لازم بملزوم أو ملزوم بلازم .

وقد كان السكاكي ينطلق في حديثه عن المعنى من خلال تمييزه بين ثلاث مستويات في الدلالة ، دلالة بالوضع أو المطابقة . مطابقة الحال . ودلالة بالعقل أي (التضمين) ، ودلالة بالعقل و(الإلتزام) ، وهو إذ فصل فيهن القول يقر بوجود علائق بينها يتم بواسطتها الانتقال من الواحدة إلى

الأخرى من خلال إعمال العقل ، وقد استدل على ذلك من خلال مثال عربي قديم وشهير هو (كثير رماد القدر) فالواضح أن المعنى الحقيقي . إذا فسرت به دلت على اتصاف آنية الموصوف بالقذارة والاتساخ وهو ذم لا مراء فيه إذ أن المعنى المستلزم منه هو المدح . فيه غير مقصود والمقصود منها (رجل كريم) وقد اعتمد السكاكي في تفسير انتقال المعنى الحقيقي إلى المعنى المستلزم بمجموعة من الاستدلالات لا يتسع المجال لذكرها لكنها استدلالات غير لغوية تعتمد عند المعاصرين على الخلفية الثقافية والاجتماعية.

وقد جاء فهم اللغويين المحدثين للاستلزام الحواري متأصلا من مفهوم العلماء القدماء له من خلال ربط الخصائص الصورية للغة بالأغراض والمقاصد المستهدفة و إنجازها عن طريق استعمال اللغة ، وذهب البلاغيون إلى أن المعاني المستلزمة لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق أو المقام الذي تنجز فيه الجملة ، ومن هنا جاءت عبارتهم الشهيرة «لكل مقام مقال» و«لكل كلمة مع صاحبتها مقام» ، ذلك أن على المتكلم أن "يعرف أقدار المعاني ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "

11.

وهكذا يلعب السياق دوراً بارزاً في تحديد معاني الجمل لأنه يأخذ في اعتباره المعاني المعجمية للألفاظ من جهة ومواقف استعمالها من طرف المتكلمين من جهة أخرى ، وانطلاقا من مفهوم المقام نجد البلاغيين يميزون بين مفهومين هما (مقتضى الظاهر) وهو المضمون الصريح الذي يفهم انطلاقا من مفهوم العبارة اللغوية المستعملة وذلك استنادا إلى مجموع معاني المفردات التي تتألف منها العبارة و (مقتضى الحال) وهو مايدعو إليه الأمر الواقع أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطبين من التكلم بوجه مخصوص ، ولن يطابق الحال إلا اذا كان وفق عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم في البلاغة وقوتهم في البيان والمنطق فعلى المتكلم ملاحظة الحال ، كما يمكن أن تكون عملية فهم الاستلزام في الجملة سهلة مؤاتية ، لأن على المفسر لها ان يكون على دراية بعلم التركيب ، والعلم المعجمي والعرف السائد للمعنى الدلالي المباشر للكلمة استنادا على معرفة مبدأ الحوار اذا اتفق المعنى المعجمي مع الكلام المخصوص ، حيثما كان للألفاظ دلالات بعينها لا تخرج عن معناها المخصوص مهما اختلفت السياقات وتغيرت التراكيب 12 .

ومثال ذلك :

محمد غني وهو بخيل .

محمد غني لكنه بخيل .

فالمعنى ذاته في كلتا الجملتين ، ولا يغير استخدام حرف العطف وحرف الاستدراك شيئا من المعنى ، فالسامع يتوقع في الحالتين أن يكون المعنى مطابقا أو مخالفا ، لكن الاستلزام الحواري متغير بتغير السياقات التي يرد فيها بحسب نظرية علم اللغة والدلالة العرفية ، والاستعانة بمبدأ

التعاون ، وهي نظرية مقتضاها " أن المتخاطبين لا يندفعون إلى التبادلات الكلامية إلا وهم يسلمون بالتعاون فيما بينهم لانجاح هذه التبادلات وتحقيق الأغراض التي راموها من خلال هذا الإندفاع "13 وهذا لا يتم إلا بأن يبذل كل طرف من الأطراف جهدا من أجل تحقيق ما يصبو إليه من خلال انخراطه في الكلام واشتراكه فيه ، وعليه يكون تحقيق التواصل الأمثل مشروطا بالتعاون في اللعبة التخاطبية ، وما لم يتم ذلك يتعذر التواصل ، لأجل ذلك كانت مراعاة ماتم التسليم به شرطا مهما في قيام التواصل .14

إن الرسالة التخاطبية خاضعة في الأساس لطبيعة التوارد العلاماتي في بناء النص الحامل للخطاب ، تلك العلامات التي تنفتح على عدد من التأويلات التي يحددها السياق اللغوي والسياق الثقافي للرسالة التي يسمعها المتلقي ، والمتلقي لاشك أنه يمتلك ذات السنن اللغوية التي يمتلكها المرسل ، ولكنه في ثنايا تشفير الرسالة اللغوية يحولها إلى سنن في ضوء سياق لغوي وسياق ثقافي معين ، ينفتح على عدد من التأويلات التي تضمنها عملية الإرجاع التي تكفلها العوالم الممكنة للمحيط المعتقدي للمتلقي للعلامات اللغوية .

إن الاستلزام الحواري لا يقيم حدودا فاصلة بين المكونات الدلالية والتداولية وإنما تتظافر كلها لتشكيله لفك شفرة الرسالة اللغوية للخطاب

كما يحدد المكون الدلالي الإرجاعات المحتملة للعلامة اللغوية ، بينما يقوم المكون التداولي (الطبيعة الإنجازية) في ضوء ذلك بإبراز مقصد المتكلم .

خاتم الرمل ومهمة الروائي في ضوء نظرية الاستلزام

في هذا البحث حاولت الباحثة أن تجد مبادئ الاستلزام الحواري للحوار المجرى بين شخوص رواية خاتم الرمل ، كونها رواية سخية بحواراتها المقتضية لمراعاة المقام ومبدأ التعاون الذي يعتمد عليه بطل الرواية بصورة أساسية من ثم الشخوص الثانوية والمساعدة فيها ، وانتهاك تلك المبادئ ، وقد كان الروائي مغرما بتصوير عقدة أوديب الشهيرة في هذه الرواية بالذات ، كما أنه حاول الهروب من الواقع الموهوم إلى الواقع الوهمي ، وهو يحاول أن يجعلنا نتساءل ماهو واقعي وما هو موهوم ، وهو لم يتعرض لهذا المعنى فقط في رواية خاتم الرمل إنما تعرض إليه في رواية (بصقة في وجه الحياة) أيضا ، ذلك أن ظروفا اجتماعية واقتصادية وسياسية كانت هي الدافع الحقيقي لكتابة هذه الرواية ببغداد ، فبطل الرواية (هاشم) شخصية مهزوزة يعيش على فضلات ذكرياته الحزينة عن سبب وفاة والدته (سناء) التي ماتت بسبب انهيار عصبي في سنته التاسعة ، عقب معارك لسانية طاحنة مع أبيه المستبد برأيه ، واتهامه لوالده إثر ذلك بقتلها 15، وهاشم لم يكن شخصية محورية فحسب بل كانت سلبيته تؤدي إلى التماهي مع شخصية والدته المتوفية ، إنها علاقة نكوصية يهرب فيها من حاضره ليلوذ بماضيه وعالمه الطفولي المشحون بالذكريات

السلبية ، لقد أدت العلاقات المأزومة للبطل بشخوص الرواية إلى غياب الحقيقة عن ذهن القارئ والبطل أيضا ، حقيقة وفاة والدته والمسبب لها ، وهو ما ستكون الحوارات المغلقة محتوية عليه ولابد من تفسيرها بناء على معطيات الاستلزام الحواري .

تحدثنا الرواية عن حياة هاشم، وهو مهندس معماري لامع وذكي، ولكنه يعاني من مشاكل نفسية خطيرة . مصدرها أحداث حياته السابقة وذكرياته المشحونة ، وهو شخص يمكن أن نعرفه بالمصطلح الحالي على أنه «غير منسجم» مع واقعه إذ نشأت متاعبه من حالة الوحدة التي كان يعانيها منذ الطفولة عندما أصبح يتيم الأم ، وهو ألم سوف يترك على حياته كلها علامة لا تمحى ، والحقيقة أن الماضي يتقاطع مع الحاضر في ذهن هذا الشاب ، في تواتر عجيب لقصص ووجوه قديمة وجديدة ، وبالفعل نراه يهيم على وجهه ليلاً في شوارع أغرقها المطر في مدينة بغداد الخالية من الهموم في أعوام السبعينيات ، مدينة لها وجه سيريالي بحسب هاشم ، يبدو أن هاشم يعثر على بعض الراحة والسكينة عندما يحتمي بالبيت وينصت إلى موسيقى شوبان ، بهذه الطريقة فقط تعقد معه الظلال التي تسيطر على هواجسه هدنة قصيرة .

لقد اكتسبت هذه الرواية جماليتها من حرفية الروائي في رسم حدود شخصياته ، إذ كان رسم التكرلي لشخصيات روايته رسما غير معتاد من خلال طبائعها وعاداتها وافعالها وتداعياتها وحواراتها التي ينفرد الكاتب بخصوصيتها وارتباطها بكل شخصية تتكلم بها .

يتمظهر بطل الرواية في وضعيّة خطيب يؤجّل زواجه من خطيبته إلى ما لا نهاية ، وهو يفعل ذلك لدواعٍ يتّضح . بشيء من الغموض الثريّ الذي يبرع التكرليّ في الحفاظ عليه حتّى النهاية . أنّها محض نفسيّة ، وهو كائن رهيف ، عاجز عن التقدّم إلى الزواج . وفي الأوان نفسه هو عاجز عن فسخ الخطوبة . ومنذ البداية نفطن إليه وهو يتعرّض لحملات الكلام والتنديد المبطّن تارة والسافر تارة أخرى ، تأتيه من شقيقة الفتاة المخطوبة ومعها كامل أسرتها وطبقتها.

وفي خضم هذه الضغوط التي يتعرض البطل لها يظهر الروائي قدرته الفنية والسردية المنمازة بسيادة الجو النفسي لتفسير الاحداث وربطها معولا عليها بمعية الأحداث والحوار لتفسير الرواية لاحقا وفهمها بشكل صحيح ، ومصرع البطل في نهاية الرواية بحد ذاته لوحة متقنة مبنية على هدم الحقيقة والتعويل على المجاز ، إذ يتعرض لتهديدات متوالية ودعوات للإذعان والتخلّي عن خطيبته التي يؤجل زفافه منها ، و يلقى البطل مصرعه على يد واحد من الطامعين بالفتاة ، بكامل الغموض ، غموض ملتبس وخفيّ ، يتقدم القاتل (واحد من أصحاب النفوذ والهيمنة) للبطل المتردّد يصرعه بمسّدس صوّبه إليه من سيّارته ، بعد تهديدات أوصلها إليه عبرَ آخرين ، منهم مدير المكتب الذي يعمل فيه البطل ، أي مهندس مثله .

وحينما نفسر حوارات الرواية نجد أن مدلول أي عبارة له معان عدة تحكمها الظروف واختلاف النوايا وتشعب المقاصد ، وقد اختلفت النظريات في تحديد المدلول وكيفيته ، فإننا نتمكن تحديد المدلول دون الرجوع إلى ما تحيل إليه العبارة في العالم الخارجي ، في حين ثمة مدلول لا يمكن تحديده إلا بالرجوع إلى العالم الخارجي ، فلا بد من التمييز في الاستعمالات اللغوية للعبارة بين ما يسمونه الاستعمال على وجه الحقيقة والاستعمال على غير وجه الحقيقة ، وهذا ما يدعونا للتمييز بين استخدام حرفي أو صريح للغة على أساس ما تدل عليه العبارة بلفظها وبين معنى ضمنى أو مستلزم تدل عليه العبارة باستعمالها في موقف تواصلي معين ، وهو ما نجده في ماثلا في (خاتم الرمل) .

لقد كان النص الروائي مكتوبا من وجهة نظر شخصية مسكونة بالوهم (شخصية البطل هاشم) وتبقى مهمة إدراك مرض الأم النفسي وبراءة الأب وعصاب البطل موكولة للقارئ ، يتحصل عليها من خلال تجميعه لأجزاء أحجية الرواية المتفرقة ، وتركيبها بشكل صحيح ليصل إلى غاية الروائي مستعينا بالحوار لفك شفرتها أو التقاط الخيوط الدالة على حلها.

تكاد الشخصية أن تكون عند التكرلي ، أشبه بالقنبلة الموقوتة المرتبطة بمؤقت وتنفجر متى حان وقتها ، وإذ يبرز هذا عند أحد كبار من هيَّؤوا للرواية الفنية في العراق كالتكرلي ، إلا أن بطله أو شخصيته حين تشبه

مثل هذه القنبلة المرتبطة بمؤقت ، فإنها في حالة تفجر دائم أيضاً ، فإذ ننتظر أن تسجل ـ في لحظة ما أو عبر فعل ما أو نتيجة كلمة قد تنطقها شخصية أخرى ـ انعطافة في سير الرواية أو تعبيراً عما قد لا نتوقعه ، فإنها دائمة التصعيد والإثارة ، و نتيجة لها لا تكون الرواية في حالة هدوء أو أفقية أو رضا عن واقعها أبدا ، هذا مايبدو واضحا في حوارات البطل مع خاله رؤوف ، يقول :

" رؤوف : لم أتصور أني سأبلغ هذا العمر ...

هاشم : ثمانين ! ، سبعين ! هل لهذه الأرقام من معنى ، يا خالي ؟

رؤوف : لا أعلم . لا أعلم . أنا لا أعلم .

هاشم : لقد بلغت أنا الحادية والثلاثين ،نفس عمر أمي سناء حين توفيت 16. "

انه يحاول دائما إبراز نفسه بمظهر الضحية التي تنتظر الموت في عمر معين فهو يربط موته بموت أمه وينتظر تلك النهاية وهو يمارس لعبة الكلام الذي يحمل بين طياته معان مغايرة لظاهره أو مبطنة بمعنى قريب ، وهو أمر لابد أن يكون خاله قد أدركه من خلال الحوار المكرور ، فغالبا ما كان البطل يحيل إلى تلك المأساة التي أصابته في صباه ، ولو لم يصرح بكلام مخصوص لكن التدقيق في مجريات النص الحواري يحدد هذه الوجهة اليائسة في فكر الشاب الحزين ، وهي مفاجأة متوقعة من محيطيه كونه في غالب حواراته يحاول نفثها من خلال السطور .

ولان شخصية هاشم كانت مركزية في رواية التكرلي تجسد كينونتها الخاصة ، لذا فهي تطرح قضية النزاع العائلي على أنه أمر يودي بالحالة

النفسية للبطل نحو ترسيم خطوطها العامة والخاصة تأزما واستقرارا ، ذلك أن الشخصية بحواراتها هي المترجم الأساس لما تريد الرواية أن تقوله وتعبر عنه ، وكانت لغة الوجع هذه عند هاشم تتعالى في حواراته مع غالبية الشخصيات مستلزما فيها معان ظليلة ، يدل عليها ادراك القارئ للهوة النفسية التي سقط البطل فيها منذ نعومة أضفاره وهذا ما يشي به الحوار بينه وبين والده عند عودته لمنزله في وقت متأخر :

" الأب : ذهبت ثم اتصلت تلك الأخرى ، لعنة الله عليها . إنهم يحاكمونني أنا لا أنت . هل تفهم ما أعني ؟

هاشم : افتح الباب يا أبي ودعنا ندخل قبل أن تمرض .

الأب : تبا لك وتبا للمرض ألف مرة . يتكلم وكأنه يخشى على حياتي وهو.."17.

يستلزم حوار الأب أن يشعر المتلقي بما في داخل هاشم من اتهامه بوفاة والدته لكنه سكت عنه وجعل القارئ هو من يخمن ذلك بناء على مبدأ التعاون الاستلزامي ، أي وهو الذي تمنى موتي لانه يظن أنني قتلت والدته ، هو إذ يدل على وجعه بحوارته مع والده بتهذيب وتأدب ، لا يلتزم نفس الخلق مع الأخرين كخاله رؤووف وعمته قادرية.

لقد كانت للغة إيحاء وحيوية وهي تسرد الأزمة الداخلية لشخصية (هاشم) بطريقة يحسّ فيها المتلقي بأنه أمام أزمته هو، فقد أبرزت اللغة بؤس حياتنا عبر بؤس حياة الشخصية ، خاصةً حين يتناول الكاتب حقيقة من حقائق الحياة ، يهجس بها كل إنسان: الموت. لذلك يحسّ

المتلقي بأن لغة الشخصية باتت لغته الخاصة ، تنطق بهمه عبر صوت الشخصية أيضاً .18

كما يمكن أن يكون استخدام الكلمات والألفاظ محيلا لعرف إجتماعي شعبي مرده اللهجة العامية التي لم يعول عليها التكرلي في هذه الرواية مع أنه اشتهر بإيلاء اللهجة العامية البغدادية نوعا من الأولوية في رواياته لكنه مازل يحن إليها حتى مع استخدامه للغة الفصيحة في (خاتم الرمل) فإننا نجد العمة قادرية في حوارها مع هاشم عن مخطوبته التي يؤجل الزفاف إليها ، تقول :

" هاشم : ماذا كانوا يريدون من نداءاتهم التليفونية ؟ هل اعطوك اسما أو ..

أو أرادوا شيئا ؟

تراجعت قليلا ثم مكثت لحظات جامدة الملامح ، أمسكت بيدي ومسدت عليهما برقة ونعومة :

العمة قادرية : كلا . كلا . لايضيرك ذلك . لا تدعه يزعجك . لقد فهمت من .. من ضجتهم هذه أن هنالك طبخة للفتاة يريدون إتمامها .

هاشم : طبخة للفتاة ؟ أية فتاة ؟. 19

الطبخ في اللغة معنى عام لإعداد الطعام بمقادير معينة ، وتستعمل عرفيا ومجازيا دلالة على حبك المؤامرات وإتمامها بسرية تامة وتكون نهايتها في الأعم الغالب غير سارة ، وهذا الإستلزام تم فهمه عناية بمقتضى الحال أو ما يسمى بالتحليل العرفي ، ولا يمكن تفسيرها لفظيا

بدلالة المعجم دون الرجوع للتصور الشعبي المتفق عليه في أي بيئة تكون .

والمعنى يمكن أن يؤخذ إما من لفظ العبارة ويكون ذلك حال استعمالها لما وضعت له وإما أن يؤخذ من علاقة العبارة بظروف إنتاجها أي مما يسمى بمقتضى الحال كما يمكن أن يؤخذ عن وضعها التركيبي ، فللتراكيب علاقة بالوضع الإجتماعي والسياسي أيضا ، فقد نجد من لا يشير للظروف السياسية الصعبة دون اللجوء للاستلزام التركيبي للالفاظ من خلال ظلال المعنى المتصل بفترة معينة كما في حوار هاشم مع خاله رؤوف :

" رؤوف: أوه ، كلا . لا أعتقد أن له الحق في ذلك . كلا ، ولكن .. اسمع يابني .. من يدري ؟ في هذا العالم المضبب ..

كنت على شفا الاستسلام لسنة نوم لذيذة :

هاشم : ماذا في هذا العالم المضبب ، ياخالي ؟". 20

فاستخدام تركيب لفظي كقول الخال (العالم المضبب) يحيل إلى مرجعية سياسية دلت عليها تلك المرحل العصيبة في التاريخ العراقي السياسي في فترة السبعينات من القرن العشرين ، فلا يمكن تفسير النص معجميا وإذ يخالفها السياق فلا يمكن أن يكون العالم مضببا فالضباب أحد العوامل الجوية ، وجلي ما كان يتجنب الخال الخوض فيه ، فاستبدله بدلالة استلزامية جعلت الحوار يأخذ مجراه دون الولوج في نقاش سياسي عقيم .

لقد كان واضحا فيما سبق أن الانتقال من الحقيقة إلى المجاز يتم عن طريق (التعارف) وهذا التعارف هو الذي يؤدي إلى تثبيت الدلالة اللغوية ويمنحها مشروعيتها الدلالية وهذا التحول الدلالي يكون خاصا بالاستعمال الاجتماعي ويجعل التحول على مستوى التركيب فرديا خاصا بالمتكلم ومرهونا بقصده وإرادته ، 21ولو تتبعنا الرواية لوجدنا دلالات ومعان استلزامية أخرى عاضت عنها الأمثلة التي ذكرنا ، واستعنا بها على غيرها في الإشارة إلى شيوع هذه البنية اللغوية في الأدب الروائي العراقي ممثلا بأحد اعمدة النضج الروائي العراقي فؤاد التكرلي .

الهوامش

١ـ النزعة الحوارية في الرواية العربية ، د. قيس كاظم الجنابي ، الموسوعة الثقافية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١١ ، ٩٤ .

٢. مدخل إلى نظرية القصة القصيرة ، سمير مرزوق وجميل شاكر، وزارة الثقافة والإعلام ، مشروع النشر المشترك ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٨٩ .

٣. بناء المشهد الروائي ، ليون سرمليان ، ترجمة : فاضل ثامر ، مجلة الثقافة الأجنبية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ع:٣ ، س:٧ .

٤ . الكاتب وعالمه ، تشارلز مورجان ، ترجمة د. شكري عياد ، الألف كتاب ، العدد:٥ ، القاهرة ١٩٦٤م، ص: ٢٨٤.

٥. الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون ، طه عبد الفتاح مقلد ، مكتبة الشباب ، دار الزين للطباعة ، ١٩٧٥ ، ٦، ١٥.

٦. الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدرواري ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط:١ ، ٢٠١١، ١٧.

٧. النقد البنيوي للقصة القصيرة ، رولان بارت ، ١٣.

٨. ينظر : اشكال المعنى ، محمد السيدي ، مجلة الحوار ، موقع على النت .

٩. ق : ٣٧ .

١٠. ينظر إشكال المعنى ، من الإستعارة إلى الاستلزام الحواري ، محمد السيدي ، مجلة الحوار ،www.aljabriabed.net .

١١. ينظر: المقارنة التداولية ، قضية لغوية، محمد الزليطني ، السعودية ، جامعة الملك سعود ، ٢٠٠٧ ، ٨.

١٢. التداولية ، الإهتمامات والمفاهيم والأهداف ، رحرور محمد ، ٢٠٠٩ ، ١ ، .www.alklaam.net

١٣. ينظر : الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القران الكريم ، دراسة وصفية تحليلية تداولية ، حجر نورما وحيدة ، بحث جامعي ، الجامعة الاسلامية ، مالانج ، ٤١ .

١٤. نفسه والصفحة .

١٥. ينظر : خاتم الرمل ، فؤاد التكرلي ، ط:١ ، ١٩٩٥ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٨ .

١٦. الرواية : ١٤ .

١٧. نفسه : ٢٧ .

١٨. ينظر : اتجاهات النقد الروائي في سوريا ، د. عبدالله أبو هيف ، دمشق ، سورية ، ٢٠٠٦ ، ٢٦٤ .

19- الرواية ، 31 .

20- نفسه ، 48 .

21- ينظر : إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، العلامات في التراث ، دراسة استكشافية ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ط : 4 ، 88 .

المصادر

- القرآن الكريم.
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة ، العياشي أدرواري ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط:١ ، ٢٠١١.
- الاستلزام الحواري في سورة البقرة في القران الكريم ، دراسة وصفية تحليلية تداولية ، حجر نورما وحيدة ، بحث جامعي ، الجامعة الاسلامية ، مالانج ، نسخة الكترونية .
- إتجاهات النقد الروائي في سوريا ، د. عبدالله أبو هيف ، دمشق ، سورية ، ط:١ ، ٢٠٠٦.
- إشكال المعنى ، من الإستعارة إلى الاستلزام الحواري ، محمد السيدي ، مجلة الحوار ، www.aljabriabed.net.
- إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، العلامات في التراث ، دراسة إستكشافية ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ط : 4 .
- بناء المشهد الروائي ، ليون سرمليان ، ترجمة : فاضل ثامر ، مجلة الثقافة الأجنبية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ع:٣ ، س:٧ .
- التداولية ، الإهتمامات والمفاهيم والأهداف ، رحرور محمد ، ٢٠٠٩ ، ١ ، . www.alklaam.net

- الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون ، طه عبد الفتاح مقلد ، مكتبة الشباب ، دار الزين للطباعة ، ١٩٧٥ .
- خاتم الرمل ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط:١ ، ١٩٩٥ .
- الكاتب وعالمه ، تشارلز مورجان ، ترجمة د. شكري عياد ، الألف كتاب ، العدد:٥ ، القاهرة ١٩٦٤م.
- مدخل إلى نظرية القصة القصيرة ، سمير مرزوق وجميل شاكر، وزارة الثقافة والإعلام ، مشروع النشر المشترك ، بغداد ، ط : ١ ، ١٩٨٦ .
- المقارنة التداولية ، قضية لغوية، محمد الزليطني ، السعودية ، جامعة الملك سعود ، ٢٠٠٧ .
- النزعة الحوارية في الرواية العربية ، د.قيس كاظم الجنابي ، الموسوعة الثقافية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠١١ ، ط:١.